

٢٢
الحديث

الأربعون العقديّة

فتح الأعز الأكرم شرح حديث

أي الذنب أعظم

وكتبه / أيمن إسماعيل

*****بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*****

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ }
[آل عمران: ١٠٢] { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١] { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً - يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً }
[الأحزاب: ٧٠-٧١]

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة .

***نص حديث الباب :**

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم :
أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندا، وهو خالقك»، قلت:
إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك»، قلت:
ثم أي؟ قال : «ثم أن ترائي بحليلة جارك»

***تخريج الحديث :**

أخرجه البخارى(٤٤٧٧) كتاب تفسير القرآن ،باب قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٢]
ومسلم (٨٦) كتاب الإيمان ، باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده.
(أن تجعل لله ندا وهو خالقك).

*** أهم الفوائد المستنبطة من حديث الباب :**

١ - الفائدة الأولى :

من أتى خلاف المعهود تجاوزت عاقبته الحدود :

والمعنى :

أن المرء إذا ما أتى خلاف ما يُعهد من حاله ، سواء أكان ذلك بالخير أو بالسوء ، فإن عاقبته تكون عظيمة ، فإن كان فعله هذا فى باب الطاعات كان أجره عظيماً ، وإن كان فعله هذا فى باب السيئات كان وزره عظيماً ، وهذا مما يُستقرأ من أدلة الشرع ، ولهذا أمثلة كثيرة ، نذكر منها ما يلى :

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُرَكِّبُهُمْ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخُ زَانَ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ " ١

فكل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه، وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده - وإن كان لا يعذر أحد بذنب - لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة، ولا دواعي معتادة، أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى، وقصد معصيته ، لا حاجة غيرها؛ فإن الشيخ لكمال عقله، وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء ، عنده ما يريجه من دواعي الحلال في هذا ، فكيف بالزنا الحرام؟!

وكذلك الإمام لا يخشى من أحد من رعيته، ولا يحتاج إلى مداهنته ومصانعته؛ فإن الإنسان إنما يداهن ويصانع بالكذب وشبهه من يحذره، ويخشى أذاه ومعائبته، أو يطلب عنده بذلك منزلة أو منفعة، وهو غني عن الكذب مطلقاً.

وكذلك العائل الفقير ، قد غُدم المال ، وإنما سبب الفخر والخيلاء والتكبر والارتفاع على القرناء ، الثروة في الدنيا ، لكونه ظاهراً فيها ؛ فإذا لم يكن عنده أسبابها ، فلماذا يستكبر ويحتقر غيره؟!

فلم يبق فعله، وفعل الشيخ الزاني، والإمام الكاذب، إلا لضرب من الاستخفاف بحق الله تعالى. ٢

٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: .. وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ " ٣ .
وإنما خص الشاب لكونه مظنة غلبة الشهوة ، لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى؛ فإن ملازمة العبادة مع ذلك أشد ، لذا فقد ورد عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبُوءَةٌ " ٤ .

١ أخرجه مسلم (١٠٧) والنسائي (٢٥٧٥)

٢ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٣٩٣/١)

٣ متفق عليه .

٤ أخرجه أحمد (١٧٣٧١)، انظر الصحيحة (٢٨٤٣)

٣- وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه - قال : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ ، وَيُضْحِكُ إِلَيْهِمْ ، وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ :
الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِتْنَةٌ ، قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عِزَّ وَجَلًّا ؛ فَإِمَّا أَنْ يُقَاتَلَ ، وَإِمَّا أَنْ
يُنْصَرَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلًّا ، وَيَكْفِيهِ ؛ فَيَقُولُ : انظُرُوا إِلَيَّ عَبْدِي هَذَا ، كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسِهِ
، وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ ، وَفِرَاشٌ لَيْنٌ حَسَنٌ ؛ فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَيَقُولُ :
يَذِرُ شَهْوَتَهُ ، وَيَذَكِّرُنِي ، وَلَوْ شَاءَ رَقَدَ ، وَالَّذِي إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ ، وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ ،
فَسَهَرُوا ، ثُمَّ هَجَعُوا ؛ فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ ، فِي ضِرَاءٍ وَسِرَاءٍ .^٥

* وحديث الباب شاهد لهذه القاعدة :

فإن المشرك يعلم قطعاً ويقيناً أن الله -تعالى- هو خالقه ، ورغم ذلك تراه يتوجه
لغير الله -تعالى- بالعبادة والدعاء .
هو نحو قوله تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٢]، ومعناه:
أن اتَّخَذَ الْإِنْسَانُ إِلَهًا غَيْرَ خَالِقِهِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ ذَلِكَ الْمَتَّخَذَ لَيْسَ هُوَ
الَّذِي خَلَقَهُ، وَلَا الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ، مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ، وَأَعْظَمِ الْجَهَالَاتِ، وَعَلَى هَذَا،
فَذَلِكَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، وَأَعْظَمُ الْعِظَائِمِ.^٦

قال الطبري :

نهاهم الله -تعالى- أن يشركوا به شيئاً، وأن يعبدوا غيره، أو يتخذوا له نداً وعدلاً في
الطاعة، فقال: كما لا شريك لي في خلقكم، وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم،
ونعمي التي أنعمتها عليكم فكذاك فأفردوا لي الطاعة ، وأخلصوا لي العبادة، ولا
تجعلوا لي شريكا وندا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم فمني .^٧
وكذلك الذي يقتل ولده مخافة أن يطعم معه، وهو في نفسه يطلب من الله طعمته،
فماذا عليه من غيره حتى يقتله؟!

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «ثُمَّ أَنْ تَزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»

قال النووي :

ومعنى تزاني : أى تزنى بها برضاها ، وذلك يتضمن الزنى وإفسادها على زوجها
واستمالة قلبها إلى الزاني ، وذلك أفحش وهو مع امرأة الجار أشد قبحاً وأعظم
جرماً؛ لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه وعن حريمه ويأمن بوائقه ويطمئن إليه
، وقد أمر بإكرامه والإحسان إليه ، فإذا قابل هذا كله بالزنى بامرأته وإفسادها عليه

^٥ رواه الحاكم في "المستدرک" (٦٨) ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (٩٣١) ، وقال الهيثمي في "المجمع"
(٥٢٥/٢) : " رجاله ثقات " ، وحسنه الألباني في "الصحيحة" (٣٤٧٨) ، وفي "صحيح الترغيب والترهيب"
(٦٢٩) .

^٦ المفهم (١/ ٢٨٠)

^٧ جامع البيان في تأويل القرآن (٣٧٠/١)

مع تمكنه منها على وجه لا يتمكن غيره منه كان في غاية من القبح ^٨.
وقد كان العرب يتشددون في حفظ ذمة الجار، ويتمادحون بحفظ امرأة الجار، كما
قال عنتره :

* وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي ؛؛ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَا وَاها *
وقال مسكين الدارمي:

. * أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ ؛؛ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْجَدْر *
*** عودٌ إلى حديث الباب :**

قوله صلى الله عليه وسلم **لما سئل: " أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ "**
قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا ، وَهُوَ خَلْقَكَ» :
والمعنى :

أن الذى خلق -سبحانه- هو الأحق أن يُفرد بالعبادة ، فلا يُشرك معه غيره من خلقه ،
ولا يُجعل معه سميٌّ ؛ فإن الله -تعالى- لا سمي له، ولا كفاء له ولا ند له، ولا
يُقاس بخلقه .

ولذا فحديث الباب يوضح لنا واحدة من العلاقات المهمة بين أقسام التوحيد .

*** العلاقة بين أقسام التوحيد :**

هي أنواع ثلاثة : علاقة تلازم ، وعلاقة تضمن ، وعلاقة شمول.

١-توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

٢- توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

٣- توحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معاً.

***وللتوضيح نضرب الأمثلة على ذلك كما يلي :**

١- الأمر الأول :

توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية

فلا شك أن المقر لربه -تعالى- أنه خالقه ورازقه ومحبيه ومميته ومدبر أمره ،
فلا بد أن يفرد بالعبادة .

فالمقدمة الأولى مستلزمة بلا شك لهذه النتيجة ؛ ولهذا كانت هي محل خاطب
الأنبياء والرسل لأقوامهم لإقامة الحجة عليهم .

ففى مناظرة إبراهيم -عليه السلام- قد أبان لهم هذه الحجة التى يدعن لها كل
منصف ، ففى ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قال تعالى حاكياً عن ذلك (قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ
(٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ

^٨ المنهاج للنوى (٣٥٧/١)

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمَيِّنُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ
(٨١)) (الشعراء ٧٥-٨١)

وفى قصة مؤمن آل ياسين قال (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)
أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ
(٢٣)) (يس: ٢٢-٢٣)

وقال الله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)) (الفاتحة ٢/) ، فكل الحمد لله عزوجل - وهذا من توحيد
الألوهية - لأنه رب العالمين .

وفى أول أمر فى كتاب الله ، قال عزوجل (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)) (البقرة/ ٢١)

وفى سورة النمل مثال رائع للإلزام الإلهي بإفراد العبادة له استدلالاً بربوبيته وذلك فى آياتٍ متتاليات:
(أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)) (النمل/ ٦٠) *

ومن الأمثلة القرآنية البديعية فى تقرير وإرساء هذا المعنى ما ورد فى قوله تعالى :

{ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
تَخَافُوهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) } (النحل: ٢٨)

فهل أحد من عبديكم وإمائكم الأرقاء يشارككم فى رزقكم ، وترون أنكم وهم فيه على حد سواء!!
وهذا من أعجب الأشياء ومن أدل شيء على سفه من اتخذ شريكاً مع الله - تعالى - وأن ما اتخذ باطل
مضمحل ليس مساوياً لله - تعالى - ولا له من العبادة شيء.^٩

* ومن السنة :

حديث الباب ، حيث جاء الإنكار على من يجعل لله - تعالى - نداً ، على الرغم من أن
الله - تعالى - هو الذى خلق العبد (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ
الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١١)) (لقمان/ ١١)
قال ابن القيم :

والإلهية التى دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها: هى العبادة والتأليه، ومن
لوازمها: توحيد الربوبية الذى أقر به المشركون، فاحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من
الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية.^{١٠}

وبناء على علاقة الاستلزام بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية فقد حكم القرآن

^٩ تيسير الكريم الرحمن (ص/٦٤٠)

^{١٠} إغاثة اللهفان (٢/١٣٥)

بكفر من جعل لله -تعالى - نداً في الدعاء ، وإن كان مقراً في الجملة بتوحيد الربوبية .

فلم يك ينفعهم إيمانهم بالله -تعالى- الرب المدبر المحيي المميت مع إشراكهم به في الدعاء ، بالتوجه إلى الوسائط ودعائها من دون الله تعالى .
فإن الذين قاتلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكونوا يعتقدون في اللات والعزة ومناة خلقاً ولا إحياءً ولا تدبيراً ، ولا غير لك من صفات الربوبية ، بل جعلوها قربة وقبلة لدعائهم ينزلون بها الله تعالى ، وقالوا " مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى " .

ومع ذلك فقد حكم الله -تعالى- عليهم بالكذب في دعواهم وبالكفر في دعائهم ، فقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)) (الزمر:٣).

قال أبو العباس ابن تيمية :

كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها، ثم يقول:
إن هذا ليس بشرك: وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك.^{١١}
لذا فمن الغلط البين ما ادعاه مرجئة المتكلمين من الزعم أن دعاء غير الله -تعالى- لا يكون شركاً إلا إذا اعتقد فيمن يدعو من دون الله -تعالى- أنه شريك مع الله في أفعاله أو في صفاته أو ذاته.^{١٢}

٢- الأمر الثاني :

توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية :

فتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس ، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً ، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً ، كما قال تعالى { قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) } . (الإسراء: ٤٢)
*وكذلك :

فإن من عبد الله -تعالى- ولم يشرك به شيئاً فهذا يدل ضمناً على اعتقاده وإقراره بأن الله -تعالى- هو ربه ومالكة الذي لا رب غيره .

٣- الأمر الثالث :

توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين معاً

وذلك لأنه يقوم على أفراد الله - تعالى- بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، والتي من جملتها :

^{١١} درء تعارض العقل والنقل (١/٢٢٧)
^{١٢} وانظر نواقض الإيمان القولية والعملية (ص/١٤٣) وضوابط التكفير (ص/١٧٣)

" الرب - الخالق - الرازق - الملك.. " ، وهذا هو توحيد الربوبية.

ومن جملتها: " الله - الغفور- الرحيم - التواب.... " ، وهذا هو توحيد الألوهية.

*** عوداً إلى حديث الباب :**

- الفائدة الثالثة : قوله صلى الله عليه وسلم : " أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً .. "

تعريف الشرك في الاصطلاح :

مساواة غير الله -تعالى- فيما هو من خصائص الله -تعالى- من الأسماء أو الصفات أو الربوبية أو الألوهية ، كما في قوله تعالى: { تَأْتِيهِ الْغُيُوبُ أَتَىُّ الْغُيُوبُ } تَأْتِيهِ الْغُيُوبُ أَتَىُّ الْغُيُوبُ * إِذْ تُسَوِّيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ { (سورة الشعراء: ٩٧ - ٩٨) .

*** أقسام الشرك :**

والشرك شركان: شرك أكبر يخرج من الملة، وشرك أصغر لا يخرج من الملة .

وحدّ الشرك الأكبر :

أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله ، فكل: اعتقاد، أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله -تعالى- وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، وهذا ضابط للشرك الأكبر لا يشذ عنه شيء.

ويمكن أن يختصر في قولنا : " أن يجعل الإنسان لله -تعالى- ندأً في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته".

* وعليه فحديث الباب يؤسس تعريفاً جامعاً لمعنى الشرك ، بقوله صلى الله عليه وسلم: "أن تجعل لله ندأً وهو خلقك " ، والند: المثل والشبيه ، فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله، فقد أشرك به، شركاً يبطل التوحيد وينافيه .

*** وأما حدّ الشرك الأصغر فهو:**

كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من: الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة .^{١٣}

***وكما أن التوحيد يتحقق بحصوله في أقسامه الثلاثة :**

"الربوبية والإلهية ، والأسماء والصفات" ، فكذاك الشرك الأكبر يحصل بنقض واحدة من هذه الثلاث :

(أ) شرك في الربوبية:

وذلك بأن يجعل لغير الله -تعالى- معه تدبيراً أو خلقاً أو إحياءً ، كما قال سبحانه: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [سبأ: ٢٢]

^{١٣} القول السديد في مقاصد التوحيد(ص/٣١)

ويدخل في ذلك شرك المتصوفة القائلين بالغوثة والقطب والأوتاد والأبدال المعتقدين فيهم التصرف والتدبير.

قال أبو العباس ابن تيمية :

الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل فمن شهد أن المعطي أو المانع أو الضار أو النافع أو المعز أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته.^{١٤}

(ب) شرك في الإلهية:

بأن يدعى غيره دعاء عبادة، أو دعاء مسألة كما قال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] ، أو يُتوجه لغيره عزوجل مما لا يصرف إلا لله -عزوجل- من نذر أو ذبح أو سجود ، ونحو ذلك .

قال أبو العباس ابن تيمية :

الشرك في الإلهية فهو: أن يجعل لله نداً - أي: مثلاً في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته.^{١٥} وقال رحمه الله:

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكرب وسد الفاقات: فهو كافر بإجماع المسلمين.^{١٦}

(ج) شرك الأسماء والصفات :

وذلك أن يسمّى الله -تعالى- أو يصفه بصفات البشر، أو العكس ، كما وصفت اليهود يد الله أنها مغلولة ، وكما اشتق مشركو العرب لأصنامهم أسماء من أسماء الله تعالى ، كما قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)) (النجم: ١٩-٢٠) ، وكما زعمت الحلولية أن الله -تعالى- يحل في مخلوقاته.

* هناك فروق بين الشرك الأكبر والأصغر، منها:

١- أن الشرك الأكبر لا يغفر الله -تعالى- لصاحبه إلا بالتوبة منه ، قال تعالى (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)) (البقرة/٢١٧) وأما الشرك الأصغر فقد اختلف فيمن مات وهو في صحيفته دون توبة منه ، فقيل: إنه تحت المشيئة ، وقيل: إن صاحبه إذا مات فلا بد أن يعذبه الله -تعالى- عليه، لكن لا يخلد في النار.

^{١٤} مجموع الفتاوى (٩٢/١)

^{١٥} المصدر السابق (٩١/١)

^{١٦} مجموع الفتاوى (١٢٤/١)

٢- الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الشرك الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه .

٣- الشرك الأكبر مخرج عن الملة ، وأما الشرك الأصغر فلا يخرج منها، ولذا فمن أحكامه: أن يعامل صاحبه معاملة المسلمين؛ فيناكح، وتؤكل ذبيحته، ويرث ويورث، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين. ٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد مخلد في النار، وأما الأصغر فلا يخلد في النار ، وإن دخلها فمآله إلى الجنة .

٥- أن الشرك الأكبر صاحبه غير معصوم النفس والمال، بعكس الشرك الأصغر، فإن صاحبه مسلم مؤمن ناقص الإيمان، فاسق من حيث الحكم الديني ، معصوم النفس والمال.

***عود إلى حديث الباب :**

- الفائدة الرابعة : قوله صلى الله عليه وسلم : " أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلْقَكَ ، ..

وهنا سؤال :

هل اتخاذ الأنداد مع الله -تعالى- يعد من الشرك الأكبر ، أم من الشرك الأصغر ؟
***الجواب:**

اتخاذ الأنداد مع الله -تعالى- قد يكون شركاً أكبر، وقد يكون شركاً أصغر .

١- اتخاذ الأنداد قد يكون شركاً أكبر :

اتخاذ الأنداد مع الله -تعالى- قد يكون شركاً أكبر، والند هو النظير والمثيل، فكل من دعا غير الله أو استغاث به أو نذر له أو ذبح له أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذ نداءً لله، سواء كان نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً أو صنماً أو غير ذلك من المخلوقات .

ويدل على ذلك قوله تعالى: {وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ فُلُومًا تَمَتَّعَ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} (الزمر/٨)

ويدل عليه أيضاً حديث الباب، حيث سئل الرسول صلى الله عليه وسلم :

" أَيُّ الدُّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً، وَهُوَ خَلْقَكَ»

والأصل في اتخاذ الأنداد أن تكون من الشرك الأكبر ، كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله :

وأصل الشرك أن تعدل بالله - تعالى- مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده ، فإنه لم يعدل أحد بالله -تعالى- شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به .^{١٧}

^{١٧} الاستقامة (١/٢٤٤)

قال ابن القيم في النونية:

والشرك فاحذره فشرک ظاهر ؛؛؛ ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن ؛؛؛ أيا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ؛؛؛ ويحبه كمحبة الرحمن.
قال ابن القيم :

والشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نداً ،
يحبه كما يحب الله تعالى، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب
العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار {تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ - إِذْ نُسَوِّكُمْ
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء: ٩٧ - ٩٨] مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء،
وربه ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت
هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركي العالم.^{١٨}

***ومن الحالات التي يكون اتخاذ الأنداد فيها شركاً أكبر :**

أ) من تقرب لغير الله -تعالى- بعبادة قلبية أو بدنية ، كدعاء أو استغاثة أو نذر أو
حب ..، فقد جعل الله -تعالى- نداً من خلقه فيما يستحقه تعالى من توحيد الألوهية،
وذلك كفر بإجماع الأمة.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن :

والشرك جعل شريك لله -تعالى- فيما يستحقه، ويختص به من العبادة الباطنة
والظاهرة، كالحب والخضوع، والتعظيم والخوف والرجاء والإنابة، والتوكل
والنسك والطاعة، ونحو ذلك من العبادات؛ فمتى أشرك مع الله -تعالى- غيره
في شيء من ذلك، فهو مشرك بربه، قد عدل به سواه، وجعل له ندا من خلقه،
ولا يشترط في ذلك أن يعتقد له شركة في الربوبية، أو استقلالاً بشيء منها.^{١٩}

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في بيان حقيقة الشرك:

هو أن يجعل لله -تعالى- نداً يدعو كما يدعو الله تعالى، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه
كحب الله تعالى ، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة ، فهذا الشرك لا
يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذي حرّم الله -تعالى- عليه الجنة
ومأواه النار.^{٢٠}

ولذلك عدة صور ومظاهر، نذكر منها :

١- الأولى : التوجه بكلية العبادة للأنداد بشبهة باطلة :

^{١٨} مدارج السالكين (٣٣٩/١)

^{١٩} الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٠٥/١٢)

^{٢٠} القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص/٣٠)

قال تعالى (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)) (الزمر: ٣)

فقد توجهوا لتلك الأصنام بشتى العبادات المالية : كالنذر والقرايين والذبايح ،
والبدنية : الطواف والسجود وغير ذلك ، واتخذوهم من دون الله أولياء يتولونهم،
ويعبدونهم من دون الله تعالى ، ويقولون :
"ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، قرابة ومنزلة، ويشفعوا لنا في حاجاتنا "
فصار ضابط الشرك الأكبر فى توحيد الألوهية هو اتخاذ الند من دون الله تعالى ،
وصرف العبادة له .
***والقاعدة المطردة هنا :**

" كل ما ثبت بالكتاب أو السنة أنه عبادة ، فصرفه لله -توحيد ،وصرفه لغير الله
شرك " .

٢- الثانية : دعاء غير الله تعالى :

قال تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)} وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ
كَفَرِينَ (٦)} [الأحقاف: ٥، ٦]
وقال تعالى: {فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} [العنكبوت: ٦٥].
وقال تعالى(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا
يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ
مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤) (فاطر/١٣-١٤)
*** وفى هذه الآية الثالثة فائدتان :**

أ- تأكيد لقضية التلازم بين توحيد الربوبية والألوهية؛ وذلك لأن الله -تعالى- قد جعل
عدم ملكية من يُدعى من دون الله -تعالى- مسقطاً لجواز دعائه ، والعكس بالعكس.
ب- الحكم بالشرك على من دعا غير الله تعالى ، كما فى قوله تعالى (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ...)

وعن عبد الله بن مسعود-رضى الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم :
: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»^{٢١}

٢- الثالثة : صرف العبادات القلبية للأنداد "شرك المحبة" :

قال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ... (١٦٥) ((البقرة/١٦٥)

^{٢١} أخرجه البخاري(٤٤٩٧)

ومعنى " يحبونهم كحب الله " : أي يسوون بين الأصنام وبين الله - تعالى- في المحبة.
قال أبو العباس ابن تيمية :

معلوم أن أصل الإشراك العملي بالله -تعالى -الإشراك في المحبة ، قال تعالى :
{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا
لِلَّهِ }

فأخبر أن من الناس من يشرك بالله -تعالى- فيتخذ أنداداً يحبونهم كما يحبون الله
تعالى، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حباً لله -تعالى - من هؤلاء لأناداهم والله ؛ فإن
هؤلاء أشركوا بالله في المحبة فجعلوا المحبة مشتركة بينه وبين الأنداد .
والمؤمنون أخلصوا دينهم لله -تعالى-الذي أصله المحبة لله تعالى ، فلم يجعلوا لله
عدلاً في المحبة ، بل كان الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- أحب إليهم مما
سواهما .^{٢٢}

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن :

فكل من اتخذ نداً لله -تعالى- يدعو من دون الله -تعالى- ويرغب إليه ويرجوه لما
يؤمله منه ، من قضاء حاجاته وتفريج كرباته كحال عباد القبور والطواغيت
والأصنام فلا بد أن يعظموهم ويحبوهم لذلك ، فإنهم أحبوهم مع الله -تعالى-
وإن كانوا يحبون الله تعالى، ويقولون لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، فقد أشركوا
في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره .
فاتخاذهم الأنداد يحبونهم كحب الله -تعالى- يبطل كل قول يقولونه وكل عمل يعملونه
؛ لأن المشرك لا يقبل منه عمل، ولا يصح منه، وهؤلاء وإن قالوا " لا إله إلا الله "
فقد تركوا كل قيد قيدت به هذه الكلمة .^{٢٣}

٤- الرابعة : إدعاء حق التشريع والتحليل والتحرير لغير الله سبحانه:

فمن فعل ذلك فقد أثبت لله -تعالى- الند في باب التشريع .

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ - رضي الله عنه - قَالَ:

أَتَيْتُ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: " يَا عَدِيُّ
اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الْوَتْنَ ، فَطَرَحْتُهُ ، وَسَمِعْتُهُ " يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءةً:
{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا " ، فَقُلْتُ:
إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ، فَقَالَ:

" أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟ وَيُجِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟ ، قُلْتُ:
بَلَى، قَالَ: " فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ " .^{٢٤}

^{٢٢} قاعدة في المحبة (ص: ٦٩)

^{٢٣} فتح المجيد (ص: ١٠٦) ..

^{٢٤} رواه الترمذي (٣٠٩٥) والطبري في "تفسيره" (٢١٠ / ١٤) وقد حسنه ابن تيمية في "مجموع الفتاوى"
(٦٧ / ٧) والألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣٢٩٣).

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن :

فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به؛ فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن كان يحكم بهما، فمن تحاكم إلى غيرهما فقد تجاوز به حده، وخرج عما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزله منزلة لا يستحقها. ٢٥

٥- الخامسة : إدعاء القدرية خلق العباد لأفعالهم :

وقد وقع في ذلك القدرية نفاة القدر، الذين جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا (مجوس هذه الأمة) ٢٦ ، بل أردأ من المجوس من حيث أن المجوس أثبتوا خالقين، خالقاً للخير وخالقاً للشر، وأما هؤلاء فقد أشركوا جميع العباد في الخلق ، فقالوا هم يخلقون أفعالهم، وخالفوا بذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة. فإن الله -تعالى- خالق كل شيء ، قال تعالى: (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢)) [غافر: ٦٢] ، وقال تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)) (الصافات: ٩٦)

ومن جملة مخلوقاته أفعال العباد، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ولا يدل هذا على أن العبد ليس بفاعل على الحقيقة ولا مريد ولا مختار، بل هو فاعل لفعله حقيقة، وأن إضافة الفعل إليه إضافة حق، وأنه يستوجب عليه المدح والذم والثواب والعقاب، لكن لا يدل هذا أنه واقع بغير مشيئة الله وقدرته.

فأفعالهم لله -تعالى- خلق ولهم كسب، ولا ينسب شيء من الخلق لغير الله تعالى، فيكون شريكاً ونداً ومساوياً له في نسبة الفعل إليه، وقد نهى الله سبحانه عن ذلك بقوله تعالى (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)) [البقرة: ٢٢] وعليه فإن القدرية داخلون تحت النهي الوارد في هذه الآية ، كما قد دخل فيها المشركون .

*** ومن الحالات التي يكون اتخاذ الأنداد فيها شركاً أصغر :**

قد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما- في تفسير قوله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) [البقرة: ٢٢] قال:

الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاء سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول

٢٥ وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد(ص/٤٢٩) وضوابط تكفير المعين (ص/٢٢٢)
٢٦ رواه أبو داود (٤٦٩١)، والحاكم (٢٨٦). والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين: إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه. وقال ابن القطان في "الوهم والإيهام" (٥/٤٤٥): صحيح ، وقال الألباني في " صحيح سنن أبي داود": حسن.

الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلان، فإن هذا كله به شرك^{٢٧}.
فقد بيّن ابن عباس-رضى الله عنهما- الحالات التي يقع فيها اتخاذ الأنداد شركاً
أصغر، ونذكر من ذلك:

١- قول الرجل: "ما شاء الله وشئت":

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا؟! بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَخَدَّهُ"^{٢٨}.

٢- يسير الرياء:

وعن شداد بن أوس-رضي الله عنه-قال:
كنا نعدّ على عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أن الرياء الشرك الأصغر^{٢٩}.
قال ابن القيم:

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول
الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وإنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل
على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر، بحسب
قائله ومقصده^{٣٠}.

٣- التطير:

وهو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ والأرقام، والبقاع وغيرها، فهي الشارع
عن التطير بل قد جعله من صنفاً من صنوف الشرك.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ -:

"الطَّيْرَةُ شِرْكٌ"، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهُ يُذْهِبُهُ
بِالنَّوْكَْلِ^{٣١}.

^{٢٧} أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٨١/١)، وقال الشيخ سليمان آل الشيخ: "وسنده جيد". تيسير العزيز الحميد
(٥٨٧)، وقال المحقق: "إسناده حسن".

^{٢٨} رواه أحمد (١٨٣٩) والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٠/١) والنسائي في "السنن الكبرى" (٢٤٥/٦)،
وصححه ابن القيم في "مدارج السالكين" (٦٠٢/١) والحافظ العراقي في "تخريج الإحياء" (٢٠٠/٣).

^{٢٩} أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة (٣٤/١)، والطبراني في الكبير (٢٨٩/٧)، والبيهقي في الشعب
(٦٤٢٤)، وصححه الحاكم في المستدرک (٧٩٣٧) ووافقه الذهبي، والألباني في صحيح الترغيب (٣٢).

^{٣٠} مدارج السالكين (٢٥٣/١).

^{٣١} أخرجه أحمد (٣٦٨٧) وأبو داود (٣٩١٠) والترمذي (١٦١٤) وصححه الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على
المسند.

قوله "وما منا إلا ولكن الله يذبه بالتوكل" مدرج من كلام ابن مسعود، وليس من قول النبي صلى الله عليه
وسلم، كما نقل ذلك الترمذي عن سليمان بن حرب، وصوّبه ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٢٨٤/٣) وابن
حجر في الفتح (٢١٣/١٠). وإليه مال جمع من الحفاظ كالبخاري والترمذي والمنذري وغيرهم.
وذهب الحافظ ابن القطان الفاسي وغيره- واختاره الألباني- أن الإدراج دعوى لا تقبل إلا بحجة؛ فالحديث
صحيح بكامله، مرفوع بتمامه.

وإنما كانت شركاً أصغر لاعتقادهم أن رؤيتها يتسبب في حصول المكروه للشخص ، وأما إن كان اعتقاد المتشائم أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضرراً فلا شك أن هذا من الشرك الأكبر .
فكل من اعتقد أن شيئاً سوى الله -تعالى- ينفع أو يضر بالاستقلال فقد أشرك شركاً جلياً .

*** ومما يدل على أن الطيرة من الشرك الأصغر :**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - ضَى اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
" مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ " ، قَالُوا :

يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ:

" أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا إِلَهُكَ " ٣٢
فلما جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الذكر كفارة للمتطير دل أنه من الشرك الأصغر ، إذ لو كانت الطيرة شركاً أكبر على كل حال لم يكن لها كفارة إلا شهادة التوحيد .

وانظر رسالة الشرك ومظاهره (ص/٢٢١)

٣٢ أخرجه أحمد (٧٠٤٥) وصححه الألبانى فى الصحيحة (ح: ١٠٦٥)

قوله صلى الله عليه وسلم : (لا طير إلا طيرك) : أى أن كل ما يحدث للإنسان من الحوادث المكروهة؛ فإنها واقعة بقدر الله وجل، كما قال تعالى (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ) (الأعراف/ ١٣١)